عملية طوفان الأقصى: المواقف العربية والدولية

محمد زيتوني(*)

أستاذ محاضر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بوضياف «المسيلة» ـ الجزائر.

عبير بوعكاز(**)

باحثة في العلوم السياسية والعلاقات الدولية – الجزائر.

مقدمة

فلسطين، هذا الاسم الذي ظل يعبّر لعقود عن الأرض الواقعة بين البحر المتوسط وبين البحر الميت ونهر الأردن. لكن فلسطين بحدودها الجغرافية المتعارف عليها لم تتحدد بدقة إلا في أيام الاحتلال البريطاني لفلسطين. أما المصير السياسي لهذه الأرض فلطالما ارتبط بماجريات ومستجدات الساحة الدولية، فبعد أن كانت نضالًا لمطلب التخلص من الانتداب البريطاني ومن ثم مقاومة احتلال ونيل الاستقلال التام وطرد المحتل، قُزِّم وصُغّر هذا المطلب ليصبح قضية تقاسم أرض وإيجاد حل للاجئين الفلسطينيين تتناولها المحافل الدولية كلما استجد وضع داخل الأراضي المحتلة. وجاءت كل الجهود السياسية والدبلوماسية الدولية لتصب في مصلحة الكيان المحتل تحت مسمى إنشاء «وطن قومي» لليهود على حساب فلسطين وشعبها.

تَمَثّل هذا الجهد الدولي بلجنة كينغ – كراين الأمريكية (1919)، وصولًا إلى قرار الأمم المتحدة الرقم 181، عام 1947، الذي أقرّ تقسيم فلسطين وإقامة «دولة إسرائيل». كانت اتفاقيات كامب دايفيد نقطة انطلاق محاولات تصفية القضية الفلسطينية وتحويلها إلى قضية محلية بين دول متجاورة، لكنّ ضربات المقاومة أسقطت الحل المحلي، سواء عبر إسقاط اتفاق 17 أيار/مايو في لبنان، أو من خلال الانتفاضة الثانية ومعركة جنين في فلسطين، وصولًا إلى حرب عام 2006، التي بلورت وجود محور إقليمي مقاوم، تقع قضية فلسطين في قلب اهتماماته وقضاياه[1].

(*) البريد الإلكتروني: mohammed.zitouni@univ-msila.dz

(**) البريد الإلكتروني: abipoli2016@gmail.com

(1) عماد الحطبة، «الأبعاد الدولية لمعركة طوفان الأقصى،» الميادين، 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2023، <https://2u.pw/Roq0wvn> (تاريخ الاطلاع 10 كانون الأول/ديسمبر 2023).

بعد عام 2011 ظهرت على الساحة الإقليمية محاولات تصفية القضية الفلسطينية، عبر ما سُمِّي «السلام الإبراهيمي». كان جوهر تلك الاتفاقيات صناعة سلام اقتصادي، يمنح الكيان مجالًا لاختراق أسواق الدول العربية، وعزل الفعل المقاوم بوصفه معاديًا للتقدم والتطور الاقتصاديَّين.

رغم كل المحاولات لطمس وتغييب مطلب تحرير فلسطين فإن المقاومة المسلّحة أبقت دائمًا هذا المطلب مرفوعًا بتحركاتها وتوجيه رسالة مهمة مفادها أنه لا يمكن أن تستقر الأمور في المنطقة من دون حل نهائي وعادل لمسألة فلسطين، وهو ما ترجمته عملية طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023 وما تلاها من تهديد بعض الدول الإقليمية الداعمة للمقاومة بالتدخل العسكري نظرًا إلى الرد العنيف للكيان المحتل على المدنيين وفرض حصار قاسٍ على القطاع كافة (لا ماء، لا وقود، لا غذاء).

موضوع البحث وحدوده: سنحاول من خلال هذا البحث رصد المواقف وردود فعل الفواعل الإقليمية، وخصوصًا العربية والدولية، من عملية طوفان الأقصى وعملية السيوف الحديدية وتحليلها ومعرفة خلفياتها من خلال إطار نظري منهجي يساعد على تكوين صورة واضحة لكيفية تعامل الوحدات الدولية والإقليمية مع قضية حساسة (الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي) مرتبطة بشكل أساسي بالأمن الإقليمي والقومي في منطقة الشرق الأوسط، وهذا البحث يقوم على فكرة أساسية وليس انحيازية وهي أن القضية الفلسطينية هي قضية احتلال وإسرائيل كيان محتل.

أسئلة البحث: انطلاقًا مما سبق، ونظرًا إلى الارتباط الشديد بين التطورات الحاصلة في الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي ومسألة استقرار الشرق الأوسط والمخاوف من نشوب حرب إقليمية، وهي مسائل مرتبطة بشكل أساسي بالأمن القومي لدول المنطقة وحتى بمصالح الدول الكبرى يثار السؤال: هل كانت المواقف الإقليمية والدولية وخيارات تحقيق مصالحها (الخيار السياسي أو العسكري) من عملية طوفان الأقصى تعكس توازنًا بين مراعاة الحق الفلسطيني والمحافظة على مصالحها؟

الأسئلة الفرعية: ما حيثيات عملية طوفان الأقصى؟ ما ردود الفعل الإقليمية والدولية من عملية طوفان الأقصى؟

منهجية البحث: للوصول إلى إجابة علمية عن إشكالية البحث اعتمدنا على المنهج الوصفي ومنهج دراسة الحالة.

فرضية البحث: هناك علاقة طردية بين أنانية سعي الوحدات الإقليمية والدولية عبر عقلانية مواقفها من عملية طوفان الأقصى، لضمان مصلحتها والنأي بعيدًا من تحول الصراع إلى صراع إقليمي في المنطقة وتنامي العنف الإسرائيلي وتعدّيه على حقوق الشعب الفلسطيني وخصوصًا في قطاع غزة.

الإطار النظري: السياسة الخارجية لبلدٍ ما هي جملة من الأهداف السياسية التي تتحدد من خلالها كيفية التواصل بين هذه الدولة ومحيطها، وتتمحور هذه الأهداف بصورةٍ عامة حول حماية

أمن الدولة وتحقيق مصالحها الوطنية، والفكرية، والاقتصادية[2]. وعلى هذا الأساس تبدو النظرية الواقعية الأكثر قربًا لفهم وتفسير طبيعة ومواقف الوحدات الدولية نظرًا إلى اعتمدها على مفاهيم خاصة لاستيعاب تعقيدات السياسة الدولية وتفسير السلوك الخارجي للدول.

جاءت المدرسة الواقعية الجديدة نتيجة لتطور مسارات الواقعية التقليدية، وقد حاولت تقديم تفسيرات مقبولة لما يحدث في العلاقات الدولية، ونقطة الاشتراك بينها هي القول بتأثير معطيات البيئة الدولية في سلوكيات الفواعل الخارجية[3].

يفترض كنيت والتز أن الدول تتصرف دائمًا بعقلانية في استجابتها لفرص وقيود النسق الدولي الفوضوي، وهي مدركة لمثل هذا الخطر ومهتمة أساسًا ببقائها[4]. تبنّي الواقعية نموذج الفاعل العقلاني كنموذج لسلوك الدول الخارجي، ينتهي بها إلى التسليم بالطبيعة الأنانية للأهداف التي تسعى لتحقيقها، وتقترح أن يكون سلوك السياسة الخارجية المناسب للدولة كفاعل عقلاني هو الدفاع باستمرار عن أهداف المصلحة الوطنية. وتعَدّ المسألة الأكثر أهمية لأي مصلحة وطنية هي تحقيق البقاء وضمان الأمن القومي في صورة السلامة الترابية والاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي في بيئة دولية تنافسية[5].

تفترض الواقعية، في سعيها لتأمين بقائها، أن الدول مجبرة في ظل نسق يميزه الاعتماد على الذات، أن تضمن إلى أقصى حد متاح تقليص أي خطر خارجي يمكن أن يهدد أمنها مصدره هذه البيئة. وهذا ما يربط قيمة البقاء بالأمن كهدف رئيس. صحيح أن الواقعية لا ترى أن الأمن هو مصلحتها الوطنية الوحيدة، ولكنها ترى أنه يبقى المصلحة الأساسية. تحصيل الأمن هو المصلحة الأساسية لجميع الدول، وهو الذي يحدد ويعرّف باستمرار سلوكياتها الخارجية[6].

أولًا: عملية طوفان الأقصى

فجر يوم السبت 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023، شنت المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة على إسرائيل عملية طوفان الأقصى وشملت هجومًا بريًا وبحريًا وجويًا وتسللًا للمقاومين إلى عدة مستوطنات في غلاف غزة. وقد أعلن عن العملية محمد الضيف، قائد الأركان في كتائب عز الدين

---

(2) مروان محمد حج محمد وفيصل براء متين المرعشي، «نظرية السياسة الخارجية- Theory of Foreign Policy،» الموسوعة السياسيّة، 25 آذار/مارس 2018، <https://2u.pw/9ag9pgO> (تاريخ الاطلاع 21 كانون الثاني/يناير 2024).

(3) منعم خميس مخلف، «الواقعية الجديدة في العلاقات الدولي الافتراضات والتصنيفات والأسس: رؤية تحليلية،» **مجلة دراسات دولية**، العدد 59 (2014)، ص 214 ـ 215 <https://2u.pw/wzRtMaq> (تاريخ الاطلاع 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2023).

(4) رابح زغوني، «الفوضى وسياسة القوة: الواقعية البنيوية كنظرية عقلانية للسياسة الخارجية،» **المجلة الجزائرية لدراسات السياسية**، العدد 1 (2022)، ص 449 <https://2u.pw/VyjGj3P> (تاريخ الاطلاع 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2023).

(5) المصدر نفسه، ص 452 ـ 453

(6) المصدر نفسه، ص 452ـ453.

القسام، الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، ووصفت العملية بأنها أكبر هجوم على إسرائيل منذ عقود[7].

وفي رسالة صوتية مسجلة جاءت على لسان محمد الضيف أعلن بدء عملية طوفان الأقصى بضربة أولى استهدفت مواقع ومطارات وتحصينات عسكرية للعدو[8]. وأعلن الضيف أنه «يوم المعركة الكبرى لإنهاء الاحتلال الأخير على سطح الأرض»، ودعا الفلسطينيين في الضفة الغربية وأراضي 48 للانضمام إلى هذه الحرب بكل ما يملكون من أسلحة نارية وأسلحة بيضاء، وبالاحتجاجات والاعتصامات. كما دعا الشعوب العربية والإسلامية إلى الدعم بالتظاهرات والاعتصامات، وكل أشكال الضغط الشعبي[9].

يحمل الاسم الذي اختارته المقاومة الفلسطينية للعملية «طوفان الأقصى» دلالة للرد على الانتهاكات الإسرائيلية المستمرة للمسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية في مدينة القدس.

عقب العملية أعلن جيش الكيان الإسرائيلي أنه «في حالة حرب»، حيث أسفرت العملية خلال ساعاتها الأولى عن مقتل مئات الإسرائيليين بين جنود ومستوطنين، وأسر وفقدان أكثر من 100، بعضهم جنود، وأدت إلى إغلاق المطارات المحلية وسط إسرائيل وجنوبها أمام الاستخدام التجاري، وأُلغيت عشرات الرحلات الجوية إلى تل أبيب في مطار بن غوريون[10].

في تطور نوعي لمشهد «الهجوم التكتيكي» للمقاومة الفلسطينية، جاءت عملية «طوفان الأقصى» لتسجل عددًا من الملاحظات الاستراتيجية استنادًا إلى خريطة التحركات الميدانية التي رُصدت منذ بداية الهجوم صباح يوم السبت الموافق 7 تشرين الأول/أكتوبر2023، وذلك على النحو التالي:

1 ـ السياق الزمني

تزامن إعلان «طوفان الأقصى» مع عدد من السياقات الزمنية، أبرزها:

أ ـ التزامن مع الذكرى الخمسين لانتصار أكتوبر المجيد عام 1973.

ب ـ تزامن العملية مع «عيد العرش» وفترة «سمحات توراه ـ بهجة التوراة» التي تشهد فيها الثكنات العسكرية الإسرائيلية والمستوطنات حالة من الهدوء النسبي.

---

(7) ««طوفان الأقصى».. أكبر هجوم للمقاومة الفلسطينية على إسرائيل،» الجزيرة نت، 2 شباط/فبراير 2024، <https://tinyurl.com/bdeyw9tk>.

(8) تسجيل صوتي، «محمد الضيف: أطلقنا خلال نصف ساعة ٥ آلاف صاروخ تجاه مستوطنات ومدن العدو،» قناة الجزيرة، 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023، <https://2u.pw/suJYNbW> (شوهد بتاريخ 1 كانون الأول/ديسمبر 2023).

(9) المصدر نفسه.

(10) ««طوفان الأقصى».. أكبر هجوم للمقاومة الفلسطينية على إسرائيل،» مصدر سابق.

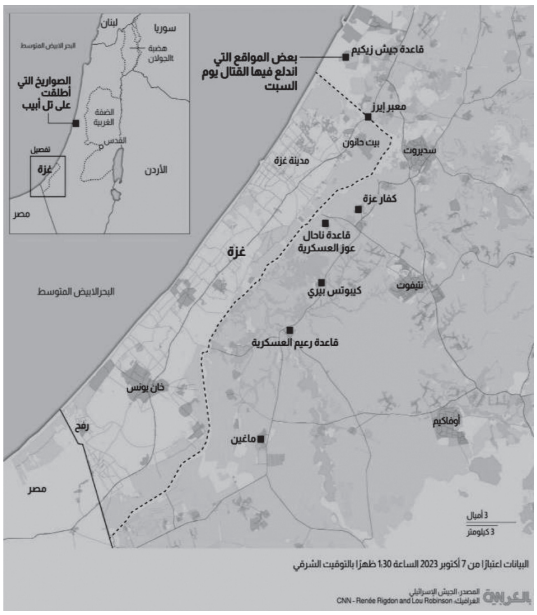

المصدر: «على الخريطة.. تحركات حماس بعملية «طوفان الأقصى»،» CNN بالعربية، 8 تشرين الأول/أكتوبر 2023، <https://2u.pw/B6LJcnt> (بتصرف الباحثين) (تاريخ الاطلاع 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2023).

ج ـ ما يتعلق بالفوضى الداخلية الإسرائيلية على المستويين الاجتماعي والسياسي في إثر أزمة الإصلاحات القضائية، وانعكاس ذلك على اضطراب الأوضاع الأمنية بما يؤسس لفرضية تراجع/وفشل نظرية «الردع الإسرائيلي».

2 ـ على مستوى الآليات

بالنظر إلى المشهد العملياتي للمقاومة، ثمة تطور بالآليات التي تم عبرها إدارة عملية «طوفان الأقصى»، أبرزها:

أ ـ التحول نحو استراتيجية الهجوم والمباغتة الاستباقية والتحلل من ممارسات «رد الفعل»، واعتماد نظرية «الهجوم العملياتي المزدوج» وذلك لترسيخ مفهوم «انكشاف الردع الإسرائيلي» عبر القصف الجوي بأكثر من 5000 صاروخ بالكثير من المناطق الخاضعة لسلطة الاحتلال وما أعقبه من تحرك بري منظم في العمق الإسرائيلي.

ب ـ تنامي «الآلية الاستخباراتية» لدى فصائل المقاومة، وهو ما تم اختباره بسياقات العملية من دون كشفها مسبقًا من جانب الاستخبارات الإسرائيلية.

ج ـ التنسيق مع أطراف أخرى لتأمين إمدادات السلاح.

3 ـ تكتيكات نوعية

تستند تلك النقطة إلى ما فرضته طبيعة العمليات من تخطيط مسبق لخريطة التحرك وذلك على مستويين:

أ ـ المستوى الجوي

تم ذلك عبر إطلاق الصواريخ والقذائف بكثافة على مواقع الاستهداف، والتطور النوعي في مدى الصواريخ المستخدمة لتصل قدراتها الفعلية إلى 200 كم لتصيب نهاريا قرب الحدود الفلسطينية ـ اللبنانية في أقصى الشمال وذلك مقارنة بالمدى الصاروخي لعمليات استهداف المقاومة تل أبيب والقدس المحتلة حيث وصلت إلى 120 كم عام 2012.

ب ـ المستوى البري

عبر تنظيم عمليات اقتحام منظمة للمستوطنات الإسرائيلية على الغلاف الحدودي، فضلًا عن الاستناد إلى عنصري «المباغتة» و«المفاجأة» عبر الاستفادة من الخبرات التاريخية لتطور التكتيكات الهجومية للفصائل الفلسطينية منذ عملية «الثأر المقدس» عام 1996 وصولًا إلى عملية طوفان الأقصى[11].

تعدّ مواقف الدول من صراع أو حرب محدِّداً وفاعلاً مركزيًا في تصميم نتائجها والمآلات التي قد تقود إليها، ورغم أن كل دولة قد تحقق الكثير من الأهداف التي تخدم مصالحها القومية وتخدم دورها في السياسة الدولية، إلا أنه لا يمكن تجاهل أن ثمة مجموعة من التحديات التي تواجه كل دولة.

4 ـ الأهداف حيوية

بالنظر إلى خريطة الهجوم، فقد عمدت كتائب القسام إلى التحرك نحو السيطرة ـ ولو بصورة مؤقتة – واقتحام الأجزاء المهمة داخل مستوطنات غلاف غزة بعمق نحو 40 كم داخل الأراضي المحتلة، فضلًا عن تطويق الكثير من المواقع الأمنية والعسكرية وتدميرها، إضافة إلى استهداف الجنود والمستوطنين وأسْرهم، على نحو ما قد ينبئ بانتقال الصراع إلى مرحلة أكثر حيوية يمكن البناء عليها كأوراق للمقايضة سياسيًا.

5 ـ تنسيقات الفصائل

تُبنى تلك الفرضية على توظيف مكاسب «طوفان الأقصى» ـ المادية والمعنوية ـ في اختبار ما يُعرف بـ «مبدأ وحدة الساحات» الذي دومًا ما تتحدث عنه فصائل المقاومة الفلسطينية، وذلك بالنظر إلى دعوة كتائب القسام وسرايا القدس لكل الفصائل والمقاومين داخل الضفة والقدس إلى

(11) المصدر نفسه.

الانضمام والمشاركة بـ «طوفان الأقصى» بهدف تطويق جميع التحركات الإسرائيلية ومحاصرتها وإرباكها بما يخدم ويعزز الموقف التفاوضي للقضية الفلسطينية[12].

بالنسبة إلى الجانب الإسرائيلي ما إن بدأت عملية «طوفان الأقصى» حتى أعلنت الحكومة الإسرائيلية بدء عملية «السيوف الحديدية» كهجوم مضاد يستهدف تدمير البنية التحتية في غزة، إضافة إلى تكثيف الهجوم لاغتيال عدد من قيادات حماس كمحاولة للجم تحركات ما بعد «طوفان الأقصى» وإضعاف رغبة المقاومة نحو إبرام صفقة سياسية حول تبادل الأسرى مع ارتفاع حصيلة الأسرى الإسرائيليين لدى الفصائل، كذلك وأد أطروحات فك الحصار الذي أصاب كل إمدادات الحياة في قطاع غزة (لا ماء، لا كهرباء، لا غذاء) ناهيك بالمعاملات المالية والاقتصادية لدى فصائل المقاومة وفى مقدمتها حركة حماس[13].

ثانيًا: المواقف الإقليمية والدولية من عملية طوفان الأقصى

تعدّ مواقف الدول من صراع أو حرب محدِّدًا وفاعلًا مركزيًا في تصميم نتائجها والمآلات التي قد تقود إليها، ورغم أن كل دولة قد تحقق الكثير من الأهداف التي تخدم مصالحها القومية وتخدم دورها في السياسة الدولية، إلا أنه لا يمكن تجاهل أن ثمة مجموعة من التحديات التي تواجه كل دولة، وتجعل من موقفها أكثر حرجًا أو أكثر إرباكًا في الاستمرار بالاتجاه نفسه[14]. تنقسم مواقف دول مركزية تجاه صراع أو حرب في مستويين: الإقليمي والدولي؛ وهذا لا يعني تجاهل بقية الدول، ولكنها ورغم تأثيرها وتأثرها في الحرب فهي لا تؤدي دورًا محددًا في حسم نتائجها كما تفعل الدول الرئيسة. وعلى هذا الأساس تناولنا هذا المبحث كالتالي:

على المستوى الإقليمي: عربيًا: دول القلب ودول الجوار. شرق أوسطيًا: إيران، وتركيا. وعلى المستوى الدولي: الوحدات الدولية الفاعلة في المنطقة.

1 – المواقف الإقليمية

أ ـ دول القلب أو «الطوق»

المقصود بدول القلب أو «الطوق» الدول التي تؤدي دورًا مهمًا في ماجريات الصراع سواءٌ في اللحظة الراهنة أو من قديم، وكذلك الدول التي تمتلك حدودًا مشتركة مع فلسطين، وهو ما يلقي على عاتقها مسؤولية مباشرة، إذ إن الصراع الحالي يؤثر في أمنها القومي مباشرة. وتشمل هذه الدول، مصر والأردن ولبنان وقطر[15].

---

(12) المصدر نفسه.

(13) المصدر نفسه.

(14) بيارق علي عزيز، «المواقف الدولية من التدخل الروسي في أوكرانيا،» **مجلة الباحث الأكاديمي في العلوم القانونية والسياسية** (الأغواط المركز الجامعي)، العدد 1 (2023)، ص 61، <https://2u.pw/4r6eEXK> (تاريخ الاطلاع بتاريخ 15 كانون الأول/ديسمبر 2023).

(15) عادل، «طوفان الأقصى: تطورات المواقف العربية الرسمية والشعبية،» مصدر سابق.

الموقف المصري: طالبت مصر عبرَ خارجيّتها بتدخلٍ فوري لوقفِ التصعيد وحثت إسرائيل على وقفِ الاستفزازات والاعتداءات ضد الفلسطينيين[16]. وأعلنت الخارجية المصرية في بيان آخر إجراء وزيرها سامح شكري «اتصالات مع مسؤولين دوليين لوقف التصعيد بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي»[17].

جاء الموقف المصري منحازًا منذ البداية نسبيًا إلى المقاومة محملًا جيش الاحتلال الإسرائيلي المسؤولية، ومحذرًا من الاعتداء على المدنيين. ولم يقتصر الأمر على وزارة الخارجية، بل إن الرئيس السيسي أكد أيضًا خلال حفل عسكري أن الدعوات إلى التهجير تستهدف تصفية القضية الفلسطينية. هناك الكثير من التفسيرات للموقف المصري، فقد يكون ذلك بهدف اكتساب شعبية تراجعت كثيرًا بسبب الأزمة الاقتصادية والسياسية معًا وتزامنها مع الانتخابات الرئاسية إضافة إلى مخاوف من تحركات لتنفيذ المخطط القديم الجديد لتوطين فلسطينيي غزة في سيناء[18].

الموقف الأردني: دعت الخارجية الأردنية إلى وقف التصعيد الخطير في غزة ومحيطها كما حذَّرت من تفجّر الأوضاع بصورةٍ أكبر. كما حذرت الوزارة من «تبعات هذا التصعيد على كل جهود تحقيق التهدئة الشاملة»، وأكدت «ضرورة ضبط النفس وحماية المدنيين واحترام القانون الدولي الإنساني»[19].

هناك مخاوف كبيرة لدى الأردن أن يتم تغيير التركيبة السكانية بسبب مشروع التهجير التي تحاول الولايات المتحدة وإسرائيل تمريره من دون التشاور مع مصر والأردن، ولكن الأردن يحاول الاستمرار في اتباع سياسةٍ يُوازِن فيها بين تحالفه الوثيق مع الولايات المتحدة في مقابل تبنّيه موقفًا قويًا رافضًا لتصفية القضية الفلسطينية والضغط في اتجاه وقف العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، وإحياء جهود السلام وفق حل الدولتين[20].

الموقف اللبناني: أصدرت الخارجيَّة اللبنانيَّة بيانًا قالت فيه إنها تتابع باهتمام بالغ التطوّرات الأخيرة، التي جاءت كنتيجة مباشرة لاستمرار سياسة الاحتلال الإسرائيلي على الأراضي الفلسطينية، ودعت المجتمع الدولي إلى الضغط على إسرائيل، والتوافق على مبادرة السلام العربية[21].

---

(16) «Egypt MFA Spokesperson,» 7 October 2023, <https://2u.pw/pjY2pKM>.

(17) «طوفان الأقصى.. مواقف عربية خجولة مع استثناءات محدودة،» الجزيرة نت، 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023، <https://tinyurl.com/ymzjtr5t> (تاريخ الاطلاع 30 تشرين الثاني/نوفمبر 2023).

(18) قطب العربي، «موقف مصري مختلف تجاه «الطوفان».. حقيقي أم مناورة؟»» العربي 21، 15 تشرين الأول/أكتوبر 2023، <https://tinyurl.com/4p58ekyt> (تاريخ الاطلاع 13 كانون الثاني/يناير 2024).

(19) وزارة الخارجية وشؤون المغتربين الأردنية، <https://2u.pw/osxkPat> (7 تشرين الأول/أكتوبر 2023).

(20) حسن البنا طاهر، «المعنيّون بطوفان الأقصى... دوافع وإشكالات،» **العربي الجديد**، 2023/11/6، <https://2u.pw/D9BdUup> (تاريخ الاطلاع 22 كانون الثاني/يناير 2024)

(21) وزارة الخارجية والمغتربين (MOFA Lebanon)، 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023، <https://2u.pw/ZI4zXcd>.

بالنسبة إلى حزب الله فقد هنَّأ حركة حماس وأشاد بالعملية، واصفًا إيّاها بأنها ردٌّ على الجرائم الإسرائيلية، وقال بيان الحزب إن قيادته في لبنان على تواصُلٍ مع حماس بشأن العملية[22].

يحاول الطرف اللبناني قدر الإمكان النأي بلبنان عن الدخول في حرب مع إسرائيل، وخصوصًا في ظل الأوضاع الصعبة السياسية والاجتماعية التي يرزح تحتها اللبنانيون، وهو ما أكده رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي بالحرص على إبقاء لبنان بمنأى عن تداعيات الوضع في فلسطين[23]. وهي دعوة مبطنة إلى حزب الله بالتصرف بعقلانية مع تداعيات العملية على جنوب لبنان المتوتر أساسًا مع الكيان المحتل وخصوصًا بعد تلويح السيد حسن نصر الله لدعمه مبدأ «وحدة الساحات»[24] التي نادت بها المقاومة عام 2021.

الموقف القطري: نشرت الخارجيّة القطريّة بيانًا حمَّلت فيه إسرائيل وحدها مسؤولية التصعيد بسبب انتهاكاتها المستمرة واقتحاماتها المتكررة للأقصى. حملت «إسرائيل وحدها مسؤولية التصعيد الجاري، بسبب انتهاكاتها المستمرة لحقوق الشعب الفلسطيني، وآخرها الاقتحامات المتكررة للمسجد الأقصى تحت حماية الشرطة الإسرائيلية[25].

تربط قطر بحماس علاقة وثيقة. وقد بقيت هذه العلاقة محط جدال في ظل تصنيف الولايات المتحدة الأمريكية حماس على أنها منظمة إرهابية. وبحسب رئيس الوزراء القطري فإن الهدف من السماح بوجود المكتب السياسي لحركة حماس، هو «أن يكون قناة للتواصل ووسيلة «لتحقيق السلام» في المنطقة»[26].

ب ـ دول الجوار

وهي الدول العربية المتفاعلة مع الصراع الحالي وإن بدرجات وأشكال مختلفة، غير أنها بعيدة من دائرة التأثير المباشر والفعّال، ولم يتعدَّ دورها التصريحات والمداولات مع الدول الأخرى وإرسال المساعدات إلى مطار العريش في مصر بغية دخولها إلى غزة. تشمل هذه الدول مجموعتين تميزهما مواقف مختلفة من الصراع[27]:

المجموعة الأولى: الدول التي تجاهر بتأييدها للجانب الفلسطيني ولم تطبّع مع إسرائيل وهي تونس، والجزائر، والكويت، والعراق، وسورية، والسعودية.

---

(22) «أول تعليق لحزب الله على عملية «طوفان الأقصى»،» RT، تشرين الأول/أكتوبر 2023، <https://2u.pw/b8COaxR> (تاريخ الاطلاع 29 كانون الثاني/يناير 2024).

(23) كارولين عاكوم، «مطالب بتحييد لبنان عن «طوفان الأقصى» «حزب الله» جدّد تهديده... والأفرقاء يحذرون من تداعيات المعركة،» **الشرق الأوسط**، 2023/10/9، <https://2u.pw/HJr7zi2> (تاريخ الاطلاع 10 كانون الأول/ديسمبر 2023).

(24) رابحة سيف علام، «أين يقف حزب الله من «طوفان الأقصى»؟،» مركز الأهرام لدراسات السياسية والاستراتيجية، 8 تشرين الأول/أكتوبر 2023، <https://2u.pw/7mAsOu5> (تاريخ الاطلاع 23 تشرين الثاني/نوفمبر 2023).

(25) الخارجية القطرية، <https://2u.pw/1BSnW8x> 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023.

(26) عبير محسن، «مواقف دول الخليج من حرب غزة: مصالح أم تواطؤ أم سلام؟!،» موقع درج، 2 تشرين الثاني/نوفمبر 2023، <https://2u.pw/sXpt1sb> (تاريخ الاطلاع 28 كانون الثاني/يناير 2024).

(27) عادل، «طوفان الأقصى: تطورات المواقف العربية الرسمية والشعبية،» مصدر سابق.

بالنسبة إلى السعودية ليس هنالك أي علاقات دبلوماسية رسمية بين السعودية وإسرائيل. لكن قبيل عملية طوفان الأقصى كانت هناك جهود حثيثة ومفاوضات لتطبيع العلاقات مع إسرائيل بإشراف أمريكي[28]. وقال ولي العهد السعودي: «نقترب كل يوم أكثر فأكثر من تطبيع العلاقات مع إسرائيل»[29].

إن الأمن القومي لا يمكن أن يظل قاصراً في حدود دولة قومية، حبيس جدرانها، ولا يخرج عن حدود دولته؛ الأمن القومي الحقيقي هو تجلي القوة العادلة في الداخل والخارج؛ هو تجلي قوة الداخل وكرامته واستقلاله المرئية من الخارج، الأمن القومي الحقيقي هو حماية الوطن والمواطن في الداخل، وكذلك في الخارج.

عقب هجوم حماس على إسرائيل بـ 8 أيام، أعلنت السعودية تعليق المحادثات حول التطبيع المحتمل مع إسرائيل، وأصدرت وزارة الخارجية السعودية بيانًا، أكدت فيه أن المملكة ما زالت على موقفها من القضية الفلسطينية، ورؤيتها بأن حل «الدولتين» هو الخيار العادل والضمان الوحيد للحفاظ على الأمن والسلام في المنطقة[30].

المجموعة الثانية: الدول الحديثة التطبيع مع إسرائيل التي اتخذت موقفًا بالحياد البارد الذي يضمر تنكرًا للقضية الفلسطينية؛ يمكن القول بأن مواقفها قد تحولت إلى اللاموقف. فما بين الاستنكار ودعوات المجتمع الدولي وصيحات الرغبة في السلام والاستقرار، تنكشف حالة الوهن التي خلقها التطبيع في الوطن العربي وهي «الإمارات، والبحرين، والمغرب».

لم ترقَ معظم المواقف الرسمية العربية إلى تطلعات نصرة القضية الفلسطينية، فحتى بعد بداية عملية السيوف الحديدية لم تطرد دولة عربية واحدة السفير الإسرائيلي وتقطع علاقاتها بإسرائيل، ولم تستطع أي دولة الضغط للإدخال الفوري للمساعدات إلى قطاع غزة. بل أن كثيرًا من المواقف العربية الرسمية أدانت الطرفين على حد سواء في تنكر صريح لحق الفلسطينيين في المقاومة وفي تأييد مبطن لحق إسرائيل في الوجود على هذه الأرض[31].

استندت معظم مواقف الدول العربية من عملية طوفان الأقصى مراعية أمنها القومي في نطاق مفهومه الضيق جدًا، وخصوصًا دول الطوق. لكن يجب لفت الانتباه إلى أن الأمن القومي لا يمكن أن يظل قاصرًا في حدود دولة قومية، حبيس جدرانها، ولا يخرج عن حدود دولته؛ الأمن القومي

(28) محسن، المصدر نفسه.

(29) «ولي العهد السعودي: المملكة «تقترب كل يوم من التطبيع مع إسرائيل،»» فرانس 24، 21 أيلول/سبتمبر 2023، <https://2u.pw/B0mIgHK> (تاريخ الاطلاع 18 كانون الأول/ديسمبر 2023).

(30) وزارة الخارجية السعودية، <https://2u.pw/kO46Aoq> (7 تشرين الأول/أكتوبر 2023).

(31) محمد حمشي، «عن الموقف العربي الرسمي من عملية طوفان الأقصى وما تلاها من عدوان إسرائيلي على غزة،» المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 22 تشرين الأول/أكتوبر 2023، <https://2u.pw/EuOAd1v> (تاريخ الاطلاع 20 كانون الثاني/يناير 2024).

الحقيقي هو تجلي القوة العادلة في الداخل والخارج؛ هو تجلي قوة الداخل وكرامته واستقلاله المرئية من الخارج، الأمن القومي الحقيقي هو حماية الوطن والمواطن في الداخل، وكذلك في الخارج بالانفتاح والمبادرة وليس بالتقوقع. ربما تكون حماية الأمن القومي تفترض عدم الاندفاع في مغامرات خارجية غير محسوبة أو غير معدٍّ لها جيدًا. ولكن حين العجز عن أداء هذه الواجبات والدفاع عن الأمن القومي يثار السؤال: أهذا من قصور في القوة...؟[32].

كان يمكن الأنظمةَ العربيةَ الرسمية الضغط على إسرائيل وحلفائها من خلال ورقة النفط والمقاطعة الاقتصادية، لكنها لم تتحرك في هذا الاتجاه[33]. وهذا بسبب يرجحه بعض الباحثين يعود إلى كون معظم هذه الأنظمة العربية هي أنظمة «وظيفية»[34] خاضعة وتابعة للقوة التي تمثل حامية لمصالحها وأمنها القومي في المنطقة وخصوصًا الولايات المتحدة الأمريكية.

أما عن الخيار العسكري ودعم فصائل المقاومة بالسلاح للتأثير في «ميزان القوة» بينها وبين قوات الاحتلال الإسرائيلي فلم يعد خيارًا عربيًا، ولا التهديدُ به.

ثمة موضوعات كثيرة كان من المنتظر أن تتردد في البيانات الرسمية العربية فرادى، لكنها لم ترِد البتة. فقد خلت مثالًا من أي قرار أو تهديد بقطع العلاقات الدبلوماسية مع دولة الاحتلال بالنسبة إلى الدول المطبّعة.

لم يرد أيضًا أي تعليق على الدعم الغربي المطلق وغير المشروط لدولة الاحتلال؛ لم ترِد أي إشارة إلى الدعوة إلى تنسيق عربي، وبخاصة بين الدول الوازنة إقليميًا، للضغط على القوى الكبرى أو مجلس الأمن، ولا حتى لتنسيق عربي من أجل رفع الحصار الوحشي على قطاع غزة. وقد انعكس غياب ما يشبه كل ذلك من البيانات الرسمية العربية المبكرة بشأن عملية طوفان الأقصى على مستويين: مستوى الخطاب العربي الذي تجسد في البيان الختامي لاجتماع مجلس جامعة الدول العربية[35] بعدها بأربعة أيام والذي أثار جدلًا واسعًا، ومستوى الفعل العربي الذي تلاه.

ج ـ دول الشرق الأوسط

(1) الموقف الإيراني: منذ بداية عملية طوفان الأقصى جاء الموقف الإيراني على جميع المستويات الدينية والسياسية والعسكرية داعمًا للعملية ومهنئًا الفلسطينيين بها. فقد وجه الرئيس

---

(32) نادية مصطفى، «معركة طوفان الأقصى والأمن القومي العربي،» مركز الحضارة لدراسات والبحوث، 13 تشرين الثاني/نوفمبر 2023 <https://2u.pw/sjnv28l> (تاريخ الاطلاع 28 كانون الأول/ديسمبر 2023).

(33) «محللون وباحثون: لهذه الأسباب خذلت الدول العربية الفلسطينيين في غزة،» الجزيرة نت، 2023/10/30 <https://2u.pw/65VpuY1> (تاريخ الاطلاع 22 كانون الأول/ديسمبر 2023)

(34) للاستزادة حول مفهوم الأنظمة الوظيفية، انظر: محمد العرسان، «هل الدول العربية «كيانات وظيفية»؟: مؤلف أردني يجيب»، عربي 21، 6 تشرين الثاني/نوفمبر 2023، <https://2u.pw/eNECnj6> (تاريخ الاطلاع 22 كانون الأول/ديسمبر 2023).

(35) «هل فُرض البيان عليهم؟ اجتماع الجامعة العربية بشأن غزة ساوى بين الطرفين ورئيسه لم يذكر إسرائيل،» **العربي بوست**، 2023/10/12، <https://2u.pw/aoHw92b> (تاريخ الاطلاع 29 كانون الثاني/يناير 2023).

الإيراني إبراهيم رئيسي رسالة تهنئة بمناسبة عملية «طوفان الأقصى»، مشددًا على دعم بلاده للدفاع المشروع الذي يخوضه الشعب الفلسطيني.

كما بعث مستشار المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران، علي أكبر ولايتي، رسالة إلى رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس» الفلسطينية، إسماعيل هنية، والأمين العام لحركة «الجهاد الإسلامي» في فلسطين، زياد النخالة، بشأن عملية طوفان الأقصى، أهم ما جاء فيها أن «عملية طوفان الأقصى تأتي ردًا على جرائم النظام الصهيوني المستمرة في الأراضي المحتلة، [وهي] ستؤدي بالتأكيد إلى تغيير جذري في ميزان القوى في فلسطين المحتلة، وستضع النظام الصهيوني في موقف أكثر ضعفًا، وإنها عملية منتصرة ستسهل وتسرّع بالتأكيد انهيار النظام الصهيوني، وتنذر بالتدمير الوشيك له»[36].

إن تحركات الولايات المتحدة خلال الأيام الأولى للعملية تركزت في أربعة محاور: المحور الأول: التعاطف الدبلوماسي الثنائي؛ المحور الثاني: الدبلوماسية الجماعية، وحشد الدعم الدولي لإسرائيل؛ المحور الثالث: ردع الأطراف «المعادية لإسرائيل» أو تحييدها؛ المحور الرابع: الدعم العسكري اللامحدود.

(2) الموقف التركي: يندرج موقف تركيا من عملية طوفان الأقصى، تحت إطار المسكوت عنه، فالحكومة التركية بكل مستوياتها لم تُشد أو تدين العملية ولكنها منذ اللحظة الأولى دعت إلى ضبط النفس وتجنب التصعيد[37]. في ظهر يوم السابع من تشرين الأول/أكتوبر وأمام المؤتمر الاستثنائي الرابع لحزب العدالة والتنمية في العاصمة أنقرة، دعا الرئيس أردوغان إلى ضبط النفس وتجنُّب الخطوات التي من شأنها تصعيد التوتر، بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

كذلك الموقف التركي من حماس وتشويه عملياتها المقاومة، يندرج تحت الإطار نفسه، الأمر الذي يرجع إلى أن تركيا تعمل على تقديم نفسها للطرفين كوسيط من شأنه أن يحل الأزمة، وهو ما اتضح من خلال تلك التصريحات إلى جانب المشاورات والاتصالات التي أجراها الرئيس التركي والجولات الكثيرة التي قام بها وزير خارجيته هاكان فيدان[38].

وإن اختلف تعاطي كل من إيران وتركيا مع الأمر، فإن إيران الراعي الرئيسي لـ«محور المقاومة» كانت مرحبة وداعمة لعملية طوفان الأقصى، ومنددة ومحذرة من مغبة الهجمات الصهيونية وما أحدثته من أزمات إنسانية، ورافضة للتهجير وتشويه المقاومة، وفي سبيل ذلك عملت على توضيح الصورة من خلال وزير خارجيتها.

(36) محمد علي إسماعيل، «الجديد في مواقف الدول والمنظمات الإسلامية من العدوان على غزة،» مركز الحضارة لدراسات والبحوث، 12/11/2023، <https://2u.pw/ugKkPfC> (تاريخ الاطلاع 3 كانون الأول/ديسمبر 2023).

(37) Turkish MFA, <https://2u.pw/UiSJqLo>.

(38) إسماعيل، المصدر نفسه.

إن موقف إيران وكل التصريحات الجدية بتهديد بالدخول في الحرب عقب عملية السيوف الحديدية، ما هي إلا محاولة ضغط على الجانب الأمريكي لوقف الحرب. ولكن إذا شعرت إيران أن أمنها مهدد، وهو الذي يشمل أيضًا السلسلة الدفاعية التي وضعتها إيران حول المركز مثل حزب الله وحماس، فإن ضعفت هذه السلسلة قد تتدخل إيران، حتى وإن لم تكن مواجهة مباشرة، لأنها في هذه الحالة تعرض مفاعلها للخطر. وبناءً على ذلك، لم يستبعد مستشار الأمن القومي جيك سوليفان انخراط إيران في الحرب بين حماس وإسرائيل بصورة ما[39].

أما تركيا فصمتت عن العملية الأساسية، لم تشجبها ولم تؤيدها، بل تعاطت مع الأمر من خلال عرض نفسها كوسيط يدعو إلى خفض التصعيد، وضرورة التزام المحتل بقواعد الاشتباك، وأدانت الموقف الغربي ورفضت مسألة التهجير وتصفية القضية.

إن المكاسب السياسية والإقليمية كـ«الترويج لفشل المؤسسات الدولية بمعالجة القضية وتحسين علاقاته بجماعات الإسلام السياسي التي ستجنيها تركيا من جرّاء مواقفها الداعمة لحركة «حماس» والقضية الفلسطينية وحشد الأصوات للانتخابات المحلية» سيكون مقابلها تداعيات سياسية وأمنية ستتحمل أنقرة تبعاتها، ولا سيما توتر علاقاتها مع إسرائيل واحتمالات تنفيذ الأخيرة عمليات اغتيالات لقادة حماس في تركيا، فضلًا عن التداعيات الاقتصادية المتعددة. ورغم ذلك فمن المتوقع أن أردوغان لن يخفف من حدة خطابه السياسي الحاد ضد تل أبيب، حتى موعد الانتخابات المحلية التي يراهن على الفوز بها[40].

2 ـ المواقف الدولية

الوحدات الدولية الفاعلة في المنطقة هي:

أ ـ الولايات المتحدة

أكَّد الرئيس الأمريكي جو بايدن أن دعم بلاده لإسرائيل «صلبٌ كالصَّخر وراسخ»، ولإسرائيل الحق في الدفاع عن نفسها وشعبها. وحذرت أي طرف آخر معادٍ لإسرائيل من السعي لانتهاز الفرصة في هذا الموقف»[41].

ولا شك أن الولايات المتحدة أكبر الداعمين الحاليين والتاريخيين لإسرائيل، فبعد ثلاثة أيام من العملية، ظلت التصريحات الغربية كافة تقريبًا تأتي من الولايات المتحدة حصرًا. ويمكن القول إن تحركات الولايات المتحدة خلال الأيام الأولى للعملية تركزت في أربعة محاور: الأول: التعاطف الدبلوماسي الثنائي؛ الثاني: الدبلوماسية الجماعية، وحشد الدعم الدولي لإسرائيل؛ الثالث: ردع الأطراف «المعادية لإسرائيل» أو تحييدها؛ الرابع: الدعم العسكري اللامحدود[42].

---

(39) وردة عبد الرزاق، «قراءة في الموقف الإيراني والتركي من حرب غزة،» مركز رع لدراسات الاستراتيجية، 18 تشرين الأول/أكتوبر 2023، <https://2u.pw/7lcPLsi> (تاريخ الاطلاع 9 تشرين الثاني/نوفمبر 2023).

(40) منى سليمان، «قراءة تحليلية لدوافع وتداعيات الموقف التركي من الحرب الإسرائيلية على غزة،» **زمان** التركية، 2024/1/6، <https://2u.pw/mDGSmmi> (تاريخ الاطلاع 17 كانون الأول/ديسمبر 2023).

(41) President Biden, 7 October 2023, <https://2u.pw/i8nd9QY>.

(42) خليفة، «طوفان الأقصى: مواقف رسمية أمريكية وأوروبية،» مصدر سابق.

هناك مجموعة من الدوافع الأمريكية تفسر الانحياز الأمريكي المطلق لإسرائيل، منها الرغبة في تمرير المخطط الإسرائيلي لتهجير الفلسطينيين، والسعي لاكتساب تأييد اللوبي اليهودي له في انتخابات الرئاسة المقبلة 2024، إضافة إلى الروابط المتينة التي تجمع بينهما والمصالح المشتركة والتزام الولايات المتحدة الدائم بأمن إسرائيل والحفاظ على قدرة إسرائيل على ردع أعدائها، تمشّيًا مع العلاقة الأمنية الطويلة الأمد بين البلدين، والالتزام الأمريكي الراسخ بذلك، وبخاصة الحفاظ على تفوق إسرائيل العسكري النوعي، وقدرتها على الدفاع عن نفسها ضد أي تهديد، وكلها التزامات استراتيجية ذات أهمية حيوية للأمن القومي الأمريكي. تجدر الإشارة هنا إلى أهمية البيان الذي أطلق عليه إعلان القدس للشراكة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وإسرائيل في 2022[43].

ب ـ الدول الأوروبية

يمكن تقسيم مواقف الدول الأوروبية إلى أربع مجموعات:

ـ مجموعة تتماهى مع الموقف الأمريكي والعمل معًا لأجل إسرائيل. لم يكن الموقف الفرنسي[44] والبريطاني[45] والألماني[46] والإيطالي منفصلًا عن الموقف الأمريكي، وإنما سار على النهج نفسه في دعم إسرائيل، وترديد رواياتها، بل واستخدام عبارات الإدانة والتأييد نفسها.

ـ مجموعة اصطفت خلف القادة: التشيك والنمسا والسويد وأوكرانيا.

ـ مجموعة تدافع عن حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، مع الدعوة إلى عدم التصعيد (هولندا والبرتغال والنرويج وفنلندا).

وما يجعل هؤلاء اللاعبين في مجموعةٍ واحدة، وفي مرتبة دون الأولى في دعم إسرائيل وإدانة حماس ليس فقط انخفاض حدة لهجتها، ولكن أيضًا دعوتها بشكلٍ من الأشكال إلى خفض التصعيد، والحديث بطريقة أكثر جدية قليلًا عن مراعاة القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني في التعامل مع المدنيين.

ـ مجموعة تمسك العصا من المنتصف: التشديد على الجوانب الإنسانية للحرب (إسبانيا وبلجيكا وأيرلندا وأيسلندا).

ليس المقصود بإمساك بالعصا من المنتصف في هذا السياق، القول إن مواقف هذه الدول كانت مُحايدة، ولكنها عمدت إلى مساحة أخرى غير تلك التي ظلت فيها الدول المبالغة في الانحياز إلى إسرائيل، والدول التي ساندت حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها وفقًا للقانون الدولي، ودعت إلى عدم التصعيد. تجسدت هذه المساحة في محاولتها التشديد على الاهتمام بالجوانب الإنسانية للحرب، وإن كان تأثيرها أقل كثيرًا من دول الفئتين السابقتين[47].

---

(43) حنان أبو سكين،» المواقف الإقليمية والدولية من الحرب على غزة .. المحركات والدوافع،» **السياسة الدولية**، 22 تشرين الأول/أكتوبر 2023، <https://2u.pw/AZChtqZ> (تاريخ الاطلاع 11 كانون الثاني/يناير 2024).

(44) Emmanuel Macron, 7 October 2023, <https://2u.pw/tfIkA7F>.

(45) James Cleverly, 7 October 2023, <https://2u.pw/un6nIXJ>.

(46) Außenministerin Annalena Baerbock, 7 October 2023, <https://2u.pw/l7dCWZV>.

(47) خليفة، «طوفان الأقصى: مواقف رسمية أمريكية وأوروبية،» مصدر سابق.

الاتحاد الأوربي: انسجم موقف الاتحاد الأوروبي مع موقف واشنطن المنحاز لوجهة النظر الإسرائيلية، وأدان بشدة ما سماه «الهجمات الإرهابية» التي تشنها حماس، مع الإشارة أيضًا إلى أهمية ضمان حماية جميع المدنيين في كل الأوقات. وقد صاحب ذلك حالة ارتباك سببتها المفوضية الأوروبية بشأن إعادة النظر في المساعدة للفلسطينيين التي تذهب في جزء منها إلى السلطة الفلسطينية، وفي جزء آخر إلى مؤسسات الإغاثة الدولية في الضفة الغربية وفي غزة، ثم التراجع عن تلك التصريحات وغض الاتحاد الأوروبي النظر عن عمليات القصف الجوي الإسرائيلي ضد أهداف مدنية ودفع عشرات الألوف من الفلسطينيين إلى النزوح من بيوتهم إلى مناطق ليست آمنة.

تتعلق دوافع موقف الاتحاد الأوروبي والدول الأوروبية بمخاوف أوروبا الشديدة من تصدير الصراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني إلى داخل بلدان الاتحاد، وتدفق مزيد من اللاجئين والمهاجرين، وبأن الشرق الأوسط لم يعد من أولويات بعض النخب وبعض اليسار الأوروبي المنشغل بقضاياه الداخلية والحرب الطويلة في أوكرانيا والعداء مع روسيا، أما اليمين المتشدد الذي كان متهمًا بالعداء للسامية في مراحل سابقة فقد حصلت به تحولات لمصلحة إسرائيل وبخاصة عند حزب مارين لوبان في فرنسا وأحزاب مماثلة من المجر إلى إيطاليا وألمانيا. وهكذا أصبح أقصى اليمين واليمين التقليدي في مواقف أقرب إلى إسرائيل، وهو ما أسهم في التراجع عن المسألة الفلسطينية. وتباينت مواقف الدول الأوروبية، كل على حدة، ولم تنجح دول الاتحاد الأوروبي، السبع والعشرون، في التوافق على موقف سياسي واحد إزاء التطورات المتسارعة في حرب غزة[48].

ج – روسيا

حثت روسيا على ضبط النفس، وقال نائب وزير الخارجية ميخائيل بوغدانوف إنهم على اتصال مع الجانبين. ووصف الرئيس بوتين تصعيد الصراع بأنه فشل للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، ولم يعرب عن أي تضامن مع إسرائيل، وتحدث عن الخسائر غير المقبولة في صفوف الفلسطينيين، وحذَّر من عواقب العدوان الإسرائيلي الوخيمة. تربط روسيا علاقة ممتدة مع حماس، ولم تعلن قط أن حماس منظمة إرهابية[49].

يسعى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بالفعل إلى تحقيق بعض المكاسب، ويتمثل أولها في تحويل الاهتمام الدولي عن الحرب الروسية في أوكرانيا، وإضعاف رغبة المقاومة لدى الأوكرانيين بحجة أن الغرب سيوجه أنظاره إلى الأزمة الجديدة في الشرق الأوسط، ومن ثم سيضعف الدعم الدولي المقدم إلى كييف. وتفترض روسيا أن الدعم الأمريكي القوي لإسرائيل سيطرح مشكلات جديدة في العلاقات مع الحلفاء الأوروبيين الأكثر تعاطفًا مع القضية الفلسطينية. ولا يخفى على أحد أن روسيا ترغب في نظام متعدد الأقطاب؛ حيث يتم تقاسم السلطة على نحوٍ أكثر توازنًا، وتريد عالمًا لا تتصرف فيه الولايات المتحدة بوصفها القوة التي لا غنى عنها. في كلِ الأحوال، فالغرب لن يسمح لموسكو في الدخول إلى تلك المنطقة أو التوسط في الأزمة، وتبذل الولايات المتحدة

(48) أبو سكين،» المواقف الإقليمية والدولية من الحرب على غزة .. المحركات والدوافع».

(49) الزهراء نادي، «مواقف قوى الشرق: روسيا والصين من الحرب على غزة،» مركز الحضارة للدراسات والبحوث، 2023/10/29، <https://2u.pw/vlk74Et> (تاريخ الاطلاع 13 تشرين الثاني/نوفمبر 2023).

والغرب أقصى جهودهما لمنع تطوير العلاقات الروسية في المنطقة العربية الأفريقية، حتى لا تنهار هيمنة أمريكا التي تعاني الضعف والتحيز، والسبب الرئيسي وراء التوتر والعنف في منطقة الشرق الأوسط (أي الولايات المتحدة الأمريكية)[50].

د – الصين

صرّحت وزارة الخارجية الصينية أن «الصين تدعو طرفي الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي، إلى ضبط النفس والوقف الفوري لإطلاق النار، وأن السبيل الوحيد لإنهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي هو تنفيذ حل الدولتين وإقامة دولة فلسطينية مستقلة»[51].

ومنذ العملية العسكرية التي شنَّتها حماس على إسرائيل في 7 تشرين الأول/أكتوبر، والصين مستعدَّة على نحو غير عادي لتقديم نفسها كصانعة للسلام، واصفة نفسها بأنها «صديقة لكلٍّ من إسرائيل وفلسطين»، حيث دعا وزير الخارجية الصيني وانغ يي إلى سرعة عقد «مؤتمر سلام دولي» للتوصل إلى حل للصراع بين إسرائيل وحماس[52].

تجد الصين نفسها مستفيدة من زعزعة معادلة الردع الأمريكي العالمي من خلال إسرائيل، وأن تتّخذ موقفًا إن لم يكن داعمًا لمحور المقاومة، فعلى الأقل يمكن وصفه بالحياد المتخاذل عن إسرائيل. وقد تمثل هذه المعركة مدى الشقاق بين الشرق والغرب، على خلفية الأزمة الأوكرانية[53].

وقفت كل من روسيا والصين على طرفي النقيض مع الموقف الأوروبي والأمريكي من حركة المقاومة الإسلامية حماس، فلم تقم أيٌّ منهما بإدانتها، ودعتا إلى الرجوع إلى الحلول الدبلوماسية وعقد مؤتمرات سلام وحل الدولتين.

ثالثًا: الاستنتاجات

توصلنا من خلال دراستنا وتحليل المواقف العربية والإقليمية والدولية من عملية طوفان الأقصى إلى التالي:

شنَّت المقاومة الفلسطينية في السابع من تشرين الأول/أكتوبر 2023 بقيادة كتائب القسام عملية طوفان الأقصى، وقد كانت عملية نوعية شملت هجومًا بريًا وبحريًا وجويًا وتسللًا للمقاومين إلى عدة مستوطنات في غلاف غزة. ووُصفت ذلك بأكبر هجوم على إسرائيل منذ عقود. سجلت لها عدة ملاحظات سواء على السياق الزمني وعلى مستوى الآليات والأهداف وتنسيقات الفصائل إضافة إلى تكتيكات نوعية.

---

(50) أبو سكين، المصدر نفسه.

(51) «الخارجية الصينية: بكين تدعو إسرائيل وفلسطين إلى الوقف الفوري لإطلاق النار،» سبوتنيك، 2023/10/8 <https://2u.pw/mW0bPJJ> في 2024/01/26

(52) نادي، «مواقف قوى الشرق: روسيا والصين من الحرب على غزة».

(53) طاهر، «المعنيّون بطوفان الأقصى... دوافع وإشكالات،» مصدر سابق.

بالنسبة إلى الجانب الإسرائيلي ما لبث أن بدأت عملية «طوفان الأقصى» حتى أعلنت الحكومة الإسرائيلية بدء عملية «السيوف الحديدية» كهجوم مضاد يستهدف تدمير البنية التحتية في غزة، وفرض حصار أصاب كل إمدادات الحياة في قطاع غزة.

جاءت ردود الأفعال الإقليمية «العربية خصوصًا» والدولية على عملية طوفان الأقصى كالتالي:

1 ـ على المستوى الإقليمي

عربيًا: جاءت معظم المواقف العربية، وخصوصًا مواقف دول الطوق، من عملية طوفان الأقصى مراعية أمنها القومي في نطاق مفهومه الضيق جدًا رغم أنه كان في إمكانها الضغط على إسرائيل وحلفائها من خلال ورقة النفط والمقاطعة الاقتصادية، لكنها لم تتحرك بهذا الاتجاه. وهذا يرجح لكون معظم هذه الأنظمة العربية هي أنظمة «وظيفية» خاضعة وتابعة للقوى التي تمثل حامية لمصالحها وأمنها القومي في المنطقة وخصوصًا الولايات المتحدة الأمريكية. أما عن الخيار العسكري ودعم فصائل المقاومة بالسلاح للتأثير في «ميزان القوة» بينها وبين قوات الاحتلال الإسرائيلي فلم يعد خيارًا عربيًا.

لم تكن هناك أي محاولة لتنسيق العمل العربي والتعاون لرفع الحصار ووقف القصف العنيف وإدخال المساعدات إلى القطاع في بداية العملية.

إقليميًا: إيران، تركيا، اختلف تعاطيهما مع الأمر، فقد رحبت إيران بعملية طوفان الأقصى، منددة ومحذرة من مغبة الهجمات الصهيونية وما أحدثته من أزمات إنسانية. تحاول إيران من خلال موقفها والتهديد بالدخول في الحرب الضغط على الجانب الأمريكي لوقف الحرب. وقد تدخل إيران الحرب إذا شعرت بتهديد أمنها الذي يشمل السلسلة الدفاعية التي شكلتها حول المركز مثل حزب الله وحماس، فإن ضعفت هذه السلسلة قد تتدخل إيران، حتى وإن لم تكن مواجهة مباشرة، لأنها في هذه الحالة تعرض مفاعلها للخطر.

أما تركيا فصمتت عن العملية الأساسية؛ لم تشجبها ولم تؤيدها، وكذلك عن تشويه عمليات المقاومة، بل تعاطت مع الأمر من خلال عرض نفسها كوسيط يدعو إلى خفض التصعيد، وضرورة التزام المحتل بقواعد الاشتباك، وأدانت الموقف الغربي ورفضت مسألة التهجير وتصفية القضية وهذا في سبيل تحقيق مكاسب سياسية وإقليمية.

2 ـ المستوى الدولي (الوحدات الدولية الفاعلة في المنطقة):

الولايات المتحدة الأمريكية: هناك مجموعة من الدوافع الأمريكية تفسر الانحياز الأمريكي المطلق لإسرائيل، منها الرغبة في تمرير المخطط الإسرائيلي لتهجير الفلسطينيين، والسعي لاكتساب تأييد اللوبي اليهودي له في انتخابات 2024، إضافة إلى الروابط المتينة التي تجمع بينهما والمصالح المشتركة والتزام الولايات المتحدة الدائم بأمن إسرائيل والحفاظ على قدرة إسرائيل على ردع أعدائها وتعزيزها، وتحقيق التزامات استراتيجية ذات أهمية حيوية للأمن القومي الأمريكي.

الدول الأوروبية: يمكن تقسيم مواقفها لأربع مجموعات:

(1) مجموعة تتماهى مع الموقف الأمريكي والعمل معًا لأجل إسرائيل كالموقف الفرنسي والبريطاني والألماني والإيطالي.

(2) مجموعة اصطفت خلف القادة وهي: التشيك والنمسا والسويد وأوكرانيا.

(3) مجموعة تدافع عن حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، مع الدعوة إلى عدم التصعيد»، مثل هولندا والبرتغال والنرويج وفنلندا.

(4) مجموعة تمسك العصا من المنتصف: تديد على الجوانب الإنسانية للحرب: إسبانيا وبلجيكا وأيرلندا وأيسلندا.

الاتحاد الأوروبي: انسجم موقف الاتحاد الأوروبي مع موقف واشنطن المنحاز لوجهة النظر الإسرائيلية. وتتعلق دوافع موقف الاتحاد الأوروبي بمخاوف أوروبا الشديدة من تصدير الصراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني إلى داخل بلدان الاتحاد، وتدفق مزيد من اللاجئين والمهاجرين.

روسيا والصين: وقفت كل من روسيا والصين على طرفي النقيض مع الموقف الأوروبي والأمريكي من حركة المقاومة الإسلامية حماس، فلم تقم أيٌّ منهما بإدانتها، ودعتا إلى الحلول الدبلوماسية وعقد مؤتمرات سلام وحل الدولتين.

خاتمة

تُعدُّ القضية الفلسطينية مِن أَهم القضايا التي شغلت دول المنطقة العربية بوجه خاص، والمُجتمع الدولي بوجه عام. فقد مرّت بمراحل ومحطات مُتعددة ونظرًا إلى عدم التوصل إلى حل سياسي للقضية الفلسطينية يلبي مصالح الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة دولته الوطنية المستقلة ذات السيادة، وحل قضية اللاجئين وفقًا للقرار 194، وعليه تمخض عن هذا الوضع المزيد من المواجهات العسكرية والحروب وكان آخرها عملية طوفان الأقصى التي جعلت من المجتمع الدولي كافة يتحرك ويسعى في اتجاه عدم التصعيد وحصر الصراع في قطاع غزة والأراضي المحتلة والسعي لعدم تحوله إلى صراع إقليمي. وهو ما رصدناه من خلال هذا البحث في مواقف الوحدات الإقليمية، وخصوصًا العربية والدولية، من هذه العملية، حيث استندت معظم المواقف إلى ضمان مصالحهم الاستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط، والحفاظ على مقومات الأمن القومي للدول المحيطة بمنطقة الصراع ـ الدول العربية. وهو الأمر الذي أثر في الوضع بعد العملية في قطاع غزة وتعرض الشعب الفلسطيني لإبادة جماعية كانت بدايتها مستشفى المعمداني وتمادي الاحتلال في أعمال العنف. وانطلاقًا من هذا يؤكد هذا البحث أن هناك علاقة طردية بين سعي الوحدات الإقليمية والدولية عبر عقلانية وأنانية مواقفها من عملية طوفان الأقصى لضمان مصالحها، والنأي بعيدًا من تحول الصراع إلى صراع إقليمي في المنطقة، وتنامي العنف الإسرائيلي وتعدّيه على حقوق الشعب الفلسطيني وخصوصًا في قطاع غزة □

عملية طوفان الأقصى:
المواقف العربية والدولية.....محمد زيتوني وعبير بوعكاز

تعدّ عملية طوفان الأقصى أكبر هجوم لحماس وأكثره حدة وتأثيرًا في أمن الكيان الصهيوني وصورته مقارنة بالعمليات العسكرية السابقة التي قامت بها حماس والمقاومة الفلسطينية عمومًا في الماضي، نظرًا إلى ما أحدثته هذه العملية من تحوُّل نوعي في مسار واستراتيجيات فصائل المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة على مستوى المواجهة مع إسرائيل. وفي إثر هذا الحدث وتداعياته في غزة والمنطقة، توالت ردود الفعل من طرف الوحدات الإقليمية، العربية بخاصة والدولية عمومًا، منذ اللحظة الأولى للعملية. وعليه، يحاول هذا البحث رصد هذه المواقف في لحظاتها الأولى والبحث في خلفياتها وتأثيرها في مسار الحرب التي شنتها إسرائيل ضد قطاع غزة.

الكلمات المفتاحية: طوفان الأقصى، التداعيات العسكرية، الإبادة الجماعية، المواقف العربية، المواقف الإقليمية، المواقف الدولية.

The Al-Aqsa Flood Operation: Arab and International Stances ..... Mohammed Zitouni and Abir Bouakaz

The Al-Aqsa Flood Operation stands as the most significant and impactful assault by Hamas, profoundly affecting the security and image of the Zionist entity compared to prior military endeavors undertaken by Hamas and Palestinian resistance groups in the past. This operation has heralded a qualitative shift in the trajectory and strategies of Palestinian resistance factions in Gaza in their confrontation with Israel. In the wake of this event and its repercussions in Gaza and the broader region, responses swiftly emanated from regional, Arab, and international quarters from the very outset of the operation. Thus, this research endeavors to trace these stances in their nascent moments, dissect their underpinnings, and evaluate their influence on the course of the conflict initiated by Israel against the Gaza Strip.

Keywords: Al-Aqsa Flood Operation, Military Ramifications, Genocide, Arab Stances, Regional Stances, International Stances.